الهادي

الاسم هو « الهادي » ، والله سبحانه وتعالى خَلَقَ ثمَّ هدى .

شققنا الطريق ، ثم وضعنا الشاخصات ، صنعنا الآلة ، وأصدرنا كُتيّب التعليمات ، الله سبحانه وتعالى خلق الكون ثم نوّره .

كلمة الهادي مأخوذة من فعل هَدَىٰ ، والهادي اسم فاعل ، ما معنى هدى ؟ إن الله عز وجل يقول :

﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [يونس : ٢٥] .

يعني : خُلِقتَ لِيُسعِدَكَ ، لا سعادة تنقطع عند الموت ، بل لِيُسعِدَكَ إلى الأبد ، وما الحياة الدنيا إلا إعداد لهذه الحياة الأبدية ، إذاً : ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ الصراط هو الطريق ، الله عز وجل أعطى الإنسان حرية الاختيار ؛ فمن شاء الهُدى هداه إلى صراط يؤدي إلى دار السلام ، خُلقت لدار السلام ، دار السلام هي الجنة ، خُلقت لدار السلام وأنت مُخيّر ، فإذا اخترت دار السلام هداك الله إلى الصراط المستقيم الذي يوصلك إلى دار السلام ، آيةٌ دقيقة المعنى جداً ، لا تظنوا كما يظن بعض الناس أن الله سبحانه وتعالى خلق الناس ليعذبهم ، لا تظنوا أن هذه المصائب عشوائية ؛ وأن هذه المصائب مقررة من قِبَل الله عز وجل لإلجاء العباد إلى بابه

قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

ما معنى الهِداية ؟ الهِداية : الإمالة ، هداه أي أماله ، أي وجهه نحو الحق ، فالهِداية في اللغة معناها الإمالة ، وتُسمى الهديةُ هديةً لأن من شأنها أن تُميل قلب المُهْدى إليه .

يقول الإمام الجنيد قال : « **اهدنا الصراط المستقيم ؛ يعني يا رب مِلْ بقلوبنا إليك ، وأقم هِمَمنا بين يديك ، واجعل دليلنا منك عليك** » ، النقطة الدقيقة : هي أن الإنسان مُخيّر ، ومعنى مُخيّر أن أمامه عِدة خيارات ، قال تعالى :

﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان : ٣] .

مَن هو الداعية ؟ هو الذي يقنعك بأن تتجه إلى طريق الحق عن طريق ماذا ؟ عن طريق الإقناع ، وعن طريق الدليل ، وعن طريق التبيين ، وعن طريق التوضيح ؛ فربنا عز وجل هو الهادي .

وبناء عليه فكم طريقةٍ من الطرائق التي يهتدي بها الإنسان ؟ . .

بادىء ذي بدء فالله سبحانَه هدى الإنسانَ إليه عن طريق الخَلْق ، وأول مخلوقاته الكون ، والله قوي ، وفي الكون مظاهر قوته ، وهو الغني وفي الكون مظاهر الغِنى ، وهو عليم وفي الكون مظاهر العِلم ، وهو رحيم وفي الكون مظاهر الرحمة ، يعني بإمكانك أن تقول : إنَّ الكون مظهر لأسماء الله الحُسنى ولِصفاته الفُضلى ، فإذا أردت أن تفكر في الكون وصلتَ إلى الله ، إنه صنعته ، منه تصل إلى الصانع ، إنه خلقه ، منه تصل إلى الخالق ، إنه كونه ، منه تصل إلى المكوّن ، إنه تنظيمه ، منه تصل إلى المُنظِّم ، به ترى العِلم ، به ترى الحِكمة ، به ترى القُدرة ، به ترى اللُطف ، به ترى العطف ، به ترى الرحمة ،

به ترى الخِبرة ، كل ما في الكون يدلُّ على الله عزَّ وجل .

وقد تنظر إلى وردة فكأنَّ الله سبحانه وتعالى تجلّى عليها باسم الجميل ، فإذا رأيت البحر هائجاً ، تجلّى الله عز وجل على البحر باسم الجبّار ، تارةً ترى اسم الجبّار ، تارةً ترى اسم القهّار ، تارةً ترى اسم المُنتقم ، تارةً ترى اسم العليم ، تارةً ترى اسم الحكيم ، تارةً ترى اسم العليّ الكبير ، فكُلُّ مظهر في الكون ؛ يدلُّ على اسمٍ من أسمائِه ؛ أو على كل أسمائه فكيف هدانا الله ؟ الله قال :

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس : ١٠١] .

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ [عبس : ٢٤] .

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴾ [الطارق : ٥ـ٨] .

فإذا أردت أن تهتدي إلى الله فحسبُكَ الكون ، وقد قيل : « **حسبكم الكون معجزة** » .

هذا أول باب ، ولكني أقول للقارىء الكريم : إن باب الكون أوسع أبواب الهُدى ، وأقرب طُرق الهُدى ؛ لأنَّ الكون يضعُك أمام قُدرة الله ، وأمام عظمته ، وأمام حِكمته ، وأمام رحمته ، وأمام عِلمِه وأمام خِبرته ، فالله سبحانه وتعالى هداك بخلقه ؛ إذاً الهادي اسم من أسماء أفعاله .

أيها القارىء الكريم يمكنك أن تتأمل آلة وتقول : المهندس خِبرته رفيعة المستوى ، وتقول : هذه الألوان التي أعطاها للآلة لطيفة فيها ذوق رفيع ، تكتشف علمه ، وتكتشف ذوقه ، وتكتشف خبرته ، لكن

أحياناً مع الآلة نشرة ، الآن ربنا عز وجل يهدي الإنسان لا بخلقه فحسب بل بكلامه ، قال :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج : ٧٥] .

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [التوبة : ٧٨] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النحل : ٧٧] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٨٢] .

﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ [البروج : ١٤] .

﴿ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود : ٩٠] .

وفي الآيات التالية تبين الهدي بكلامه سبحانه وتعالى :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾[الرعد : ٢] .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى : ٢٩] .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [الروم : ٢٢] .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم : ٢٥] .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[فصلت: ٣٧] .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴾ [الشورى : ٣٢] .

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت : ٣٩] .

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الروم : ٤٦] .

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١] .

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾[الروم: ٢٠].

أول بند من بنود الهُدى خلقُه ، فالهادي اسم من أسماء أفعاله .

البند الثاني : أن الهادي اسم من أسماء ذاته ، لأنه المُتكلّم ، فالله مُتكلّم ، والقرآن كلامه .

أحياناً تنظر إلى شيء رائع ، ويقول لك صانع هذا الشيء : هذه صنعتها لكذا ، وهذه لكذا ، وهذه المادة الأولية من أعلى مستوى ، وهذه الآلة لأجل كذا ، فقد أعطاك تعليمات من عنده مباشرةً ، فالله سبحانه وتعالى يهدي بكلامه ، إذاً الهادي اسم من أسماء ذاته ، كما أننا عرفنا أنه اسم من أسماء أفعاله .

إذاً : هداك بخلقه ؛ فالهادي اسم من أسماء أفعاله ، وإذا هداك بكلامه ؛ فالهادي اسم من أسماء ذاته ، اقرأ القرآن ، القرآن يُبيّن لكَ أصل الخليقة ، حقيقة الحياة الدنيا ، ما بعد الدنيا ، كما بيّن لك أسماء الله عز وجل ، بيّن لك صفاته ، بيّن لك أنبياءه السابقين واللاحقين ، بيّن لك حكمة الوجود ، أَمَرَكَ بالصلاة في القرآن ، أَمَرَكَ بالصوم وبالزكاة وبالحج ، بيّن لك لماذا تصلي .

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ ﴾

[العنكبوت : ٤٥]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

فالله سبحانه هو هادٍ ، الله هداك بكلامه ، فإذا أردت أن تقرأ القرآن ؛ فالقرآن باب إلى الله عزَّ وجل . والكون باب ؛ لكن (الكون) لغة عالمية ، يعني يراه ويقرؤه ويفهمه المُسلم وغير المُسلم ، العربي وغير العربي ، إفريقي ، صيني ، أمريكي ، أوروبي ، من أي مكان ، الشمس ساطعة ، النجوم زاهرة ، الكواكب متألّقة ، الماء عذب زلال ، من جعله عذباً زلالاً بعد أن كان مِلحاً أجاجاً ؟ الكون يقرؤه كل إنسان ، لكن القرآن يقرؤه العربي .

على كُلٍّ ؛ إذا تعمّق الإنسان في معرفة الله عزَّ وجل ، تعلّم العربية حُباً بالله عز وجل ، وقد تجد شعوباً من غير العرب أتقنوا العربية لا لشيء إلا حُباً بالله عز وجل ، كيفَ أنك اليوم إذا أردت أن تأخذ شهادة عُليا من بلدٍ أجنبي ، بادىء ذي بدء تتعلم لغة ذاك البلد ، يقول لك : سنتان لغة ، أي : تتعلم لغة البلد الأجنبي الذي قصدته لمدة سنتين .

طالب من طلابي نالَ بعثةً إلى تشيكوسلوفاكيا ، قال : تعلمتُ لغتهم خلال سنتين ، من أجل شهادة دنيوية ، من أجل حياة محدودة ، تعلمتَ لغة هؤلاء القوم كي تتعلم عِلمهم ، لذلك إذا

عرفت الله عزَّ وجل ، ورأيت أن كلامه شيء ثمين جداً ، فلابد إنْ كنت غير عربي ، أن تجدَ نفسك مسوقاً إلى تعلم اللغة العربية ، والإخوة الأكارم الأفارقة مثلاً ، والأتراك الذين وفدوا إلى هذه البلدة الطيبة لتعلُّم أمور الدين ؛ تراهم يتقنون اللغة العربية ، بل إنهم ينزعجون انزعاجاً شديداً لو تكلمنا بكلمة واحدة باللهجة العامية خلال الدرس كله ، لا يفهمون إلا اللغة الفصحى .

إذاً ، إذا بلغ حُبُّكَ لله عز وجل حداً مُعيناً ؛ ترى نفسك مسوقاً إلى تعلُّم اللغة العربية ، إذاً فالقرآن ؛ باب آخر من أبواب الهُدى ، الكون ؛ هداك بخلقه ، والقرآن ؛ هداك بكلامه ، وأرجو ألا تنسوا أنَّ الله عزَّ وجل جعل الكون كله في كفة ، وجعل القرآن كله في كفة ، قال :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١] .

فهذه الآية صريحة في ذكر خلق الكون .

لأنهما : الكون والقرآن يدلان عليه ، لأنهما يُشيران إليه ، لأنهما يُظهران أسماءَه الحُسنى ، وقال سبحانه في حديثه عن القرآن :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾ [الكهف : ١] .

فالكتاب ؛ هدىً بياني ؛ والكون ؛ هدىً استدلالي .

لاحظ نفسك ، أحياناً تشتري آلة دون نشرة تعليمات تنظر إليها ، تُدقق ، تستنبط ، تُحرك بعض مفاتيحها ، تُشغلها ، تُحرّك هذا المفتاح ، انقطع التيار ، تُحرّك هذا المفتاح علا الصوت أو انخفض ؛ إذاً هذا المفتاح للصوت ، تُحرّك هذا المفتاح فيصبح الصوت صافياً ،

إذاً هذا للتصفية ، تكتشف خصائصها بالتأمل والملاحظة ، لكن إذا رأيت معها نشرة باللغة العربية تقرؤها . . مفتاح رقم واحد للصوت ، الثاني للتصفية . . تَطَابُق ، يُمكن أن تتأمل في هذه الآلة فتصل إلى بعض خصائصها ؛ لكنك إذا قرأت التعليمات التي أصدرها الصانع تصل إلى خصائصها الكاملة ، إلا أن هناك ملاحظة ؛ فأنت من طريق التأمل تصل إلى أشياء كثيرةٍ جداً ، لكن ما كل شيء تصل إليه من خلال الكون .

الكون ، يَدُل على وجود الله ، يَدُل على عظمته ، يَدُل على أسمائه لكن الكون لا يَدُلُّك على الصلاة ، مهما تأملت في الكون أين الصلاة ؟ أين ذكرُ خمس صلوات ؟ أين الفرائض ؟ أين السنن ؟ أين الزكاة ؟ أين الحج ؟ أين الصيام ؟ أين غضُّ البصر ؟ هذه لابُدَّ لها من منهج أنزله الله على نبيه عليه الصلاة والسلام ، من اكتفى بالكون فقد أخذ شطر الدين ، لكن لابُدَّ من أن تهتدي بالكون جزئياً ، ومن أن تهتدي بالقرآن كلياً .

القرآن يشتمل على أحكام ، كما يشتمل على أوامر ، وعلى نواهٍ ، وفيه منهج كامل ، وفيه أخبار السابقين ، وأخبار اللاحقين ، فيه بيان للمستقبل البعيد ، وفيه بيان عن ذات الله عزَّ وجل . لا يكفي الكون وحده ، بل لا بد من أن يتكامل الكون مع القرآن .

دخلتَ إلى جامعة ، تأملت في قاعاتها الفسيحة ، تأملت في قاعات المحاضرات الكبيرة ، تأملت في حدائقها الرائعة ، تأملت في بيوت طلابها ، تأملت في مخبرها ، تأملت في مسرحها ، تأملت في مكتبتها أخذك العجب العُجاب ، لكن مهما تأملت في هذه الجامعة

وفي أقواسها وقاعات محاضراتها ، مهما تأملت في بيوت الطلاب وفي حدائقها وفي مكتبتها ، لا يُمكن أن تصل إلى نظامها الداخلي ، لا يُمكن أن تصل إلى طريقة النجاح والرسوب ، لا يُمكن أن تصل إلى أسماء الأساتذة ، تأمل في الجدران من هم مدرسو هذه الجامعة ؟ لابُدَّ من كتاب تقرؤه في بيان الكليات ، أقسام الكليات ، رؤساء الأقسام ، عُمداء الكليات ، أسماء الأساتذة اختصاصاتهم ميزاتهم ، موقع كل كلية ، نِظامُها الداخلي ، طريقة النجاح طريقة الرسوب ، طريقة الانتقال ، طريقة الدرجات : مقبول ، امتياز ، شرف ، جيد ، جيد جداً ، هذا شيء لابُدَّ من أن تقرأه في النظام الداخلي .

أنا أقول هذا الكلام وأريد منه أنك إذا فكرت في الكون عرفت عظمة الله عزَّ وجل ، أما إذا أردت أن تعرف منهجه ، فلابُدَّ من قراءة القرآن ، والقرآن في أساسه موجز ، فيه كُليّات الدين ، جاء النبي عليه الصلاة والسلام فشرحه وبيّنه ، فإذا فكرت في الكون عرفت أن لِهذا الكون خالِقاً عظيماً كبيراً عليماً قديراً حكيماً لطيفاً . . إلخ .

لكنك إذا أردت أن تعبده ، وإذا أردت أن تتقرب إليه ، وإذا أردت أن يُحبك ، فماذا تفعل ؟ أنت الآن بحاجة إلى تعليمات من قِبَل الخالِق يقول لك : صُمْ شهرَ رمضان ، أدِّ زكاة مالك ، غُضَّ بَصَرَك أحسِن إلى أخيك ، أُعفُ عنه ، أنت الآن بحاجة إلى تعليمات هذا الخالِق ، أنت بعقلك عن طريق الكون آمنت بالخالِق ، لكنك إذا أردت أن تعرف منهج الخالِق ، أمره ونهيه ، أخبار الأمم السابقة ، ماذا يُريد منك ، لماذا خُلقت ؟ فلا بُدَّ من أن تقرأ كتابه .

إذاً الكون ؛ يَدُلُّكَ على وجود الله وعلى أسمائِه الحُسنى والقرآن

يَدُلُّكَ على منهجه ، يعني إذا أردتَ أن تؤمن به ففكّر في الكون ، وإذا أردت أن تعبده فاقرأ القرآن ، بالكون تعرفه ، وبالقرآن تعبده ، لا يُغني أحدُهما عن الآخر ، إذا قرأت القرآن ولم تفكر في الواحد الديّان كأنك ما قرأت القرآن لماذا ؟ لأن القرآن يأمُرُكَ أن تُفكر ، فإذا لم تُفكر فقد عطَّلت آيات التفكر في القرآن ، إذا فكرت في الأكوان ولم تقرأ القرآن عرفت الصانع ، لكن كيف تُصلي وكيف تصوم ؟ أين أمرُه ؟ ما عباداته ؟ ماذا يريد منك ، فلا تعرف ذلك إلا بمطالعة منهجه المكتوب .

إذاً فالله هداك بالكون ؛ فالهادي اسم من أسماء أفعاله ، وهداك بالقرآن ؛ فالهادي اسم من أسماء ذاته لأنَّ الله مُتكلم ، هداك بكلامه .

ومن ثمَّ فبعدَ أن خَلَقَ الكون ، والكون دلّكَ عليه ، وأنزل القرآن والقرآن بيّنَ لك منهجه ، وأمره ، ونهيه ، وهناك حوادث ، كما أن هناك تصرفات ، شيء ما يحدث ، أمطار تنهمر ، سماء تُمطر ، سماء لا تُمطر ، تأتي موجة صقيع : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾ [القلم: ١٩].

ترى محصولاً ثمنه مئات الملايين بثلاث دقائق يتلف بالصقيع ، ونعوذ بالله من الصقيع ، إذاً له أفعال ، منها صقيع ، ومنها رياح عاتية وأعاصير ، وفيضانات ، وبراكين ، وزلازل ، وكذلك أمراض وبلاء وقهر ، وفقر ، هذه أفعاله . خلقُهُ يدلُّ عليه ، وكلامه يدل عليه ، كما أن أفعاله تدل عليه :

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود: ١١٧].

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾

[الشورى : ٣٠]

فلو افترضنا أن طالباً في المرحلة الابتدائية ضرب زميل
فشكاه إلى المعلم فعاقبه المعلم وضربه ، ثم التقى بزمي
يضربه ، فالمُعلم لا يضربه ، ثم في لقاء ثالث ضرب زميله ، ف
عاد وضربه ، مع بقاء المُعلم ساكتاً ألا يَستنبط هذا الطالب من
المعلم له كلما ضرب زميله ؟ أن المعلم لا يُرضيه أن يضرب
زميله ؟ إذاً علّمك لا بكلامه ، ولا بخلْقه ، علّمك بفعله ، مَنَ
مالِهِ فتَلفَ مالُهُ بقدر زكاة ماله ، هذا تعليم .

استطلت في أعراض الناس ، فالناس استطالوا في عرضك
بتلك ، تكبرت ؛ فأهانك الله ، تواضعت ؛ فَرَفَعَكَ الله ، أن
فعوّضَ الله عليك ، بَخِلت ، فأتلف الله مالَك ، غضضت بصر
محارم الله ، أَسعَدَكَ الله في بيتك ، أطلقت بصرك ، أشقا
بيتك ، كُنتَ مع الناس صادقاً ، وثق الناس بك ، كذبت ع
فَضَحَ أمركَ .

دعك الآن من كتاب الله ، ودعك من خلق الله ، تعا
أفعال الله ، أفعال الله وحدها تُعلِّمُكَ ، مرةً ثانية ؛ المعلم ساك
يتكلّم كلمة واحدة حينما رآك وكزت زميلك وأنت خارج إلى
ضربك على رأسك ، في الساعة الثانية وكزته فضربك ، في
الثالثة وكزته فضربك المعلم وهو ساكت ، سكوته كافٍ ،
يُعلّم ، أليس كذلك ، طبعاً على هذه الفكرة ينطبق آلاف الو
أفعال الله وحدها تُعلِّمُك ، خلْقُه يُعلِّمُك ، وكلامه يُعلِّمُك ،
وجل قال :

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [النمل : ٦٩

شخص غشَّ الناس فصودرت بضاعته ، فلماذا صودرت ؟ على أذيّته ، هذا الذي نصحهم لماذا نمَّى الله ماله ؟ هذا الذي أ لماذا أكرمه الناس ؟ هذا الذي أعطاهم لماذا أعطاه الله ؟

إذاً : هو الهادي بخلقه ، والهادي بكلامه ، والهادي بأ هداك بخلقه ، وهداك بكلامه ، وهداك بأفعاله ، لا أعتقد أنَّ من الإخوة القرّاء إلا وعلَّمَهُ الله بالأفعال . . صليتَ الصُّبح في ج فشَعَرتَ طَوَالَ النهار أن كلامك سديد ، وأن عقلك رشيد أحوالك عالية ، وأن قلبَكَ عامر ، وأن الناس قد هابوك ، وأن مُيسَّرَةٌ .

في اليوم التالي لم تُصلِّ الصبح ، فاتتك صلاة الفجر ، فو مشكلات كثيرة : أول مشكلة في الطريق ، الثانية في المحل جاءك موظف تطاول عليك ، الرابعة ذهبت إلى فلان فلم تجده

لقد عَلّمَكَ بأفعالِهِ ، يوم صليت الفجر في جماعة ؛ فأ حفظ الله وفي ذمته ، فلما فاتتك صلاة الفجر ، تلاحقت المش الطريق وفي العمل وفي البيت ، هذا تعليم ، الله يهديك إليه ب تصدقت جاءتك دفعة لم تكن بالحسبان ، سألك إنسان فأعطيته ، رغم أنك مُضطّر إلى المال فتح الله عليك رِزقاً .

ذكر لي أخ كريم فقال : اتصلت بي أختي صباحاً ، قال أريد خمسة آلاف ليرة ، قال : معي المبلغ ولكني في ضيق وعلي دفعات كبيرة ، نشأ صراع في نفسه ، ثم غلب نفسه وذ بيت أخته وأعطاها المبلغ ، وعاد إلى دكانه في سوق البزورية شخص ، وقال : أريد هذه السلعة وسَمّاها ، قلت : ليست

لديّ ، قال : أين توجد ؟ قلت : في المعمل الفلاني ، فطلب مني أن أدله عليه ، فذهبت معه ودللته عليه وعدت إلى محلي ، مساءً أتاه صاحب المعمل ، وأعطاه مبلغاً من المال « **طبعاً هذا إذا أضافها على المشتري فيه شبهة أما إذا أعطاه من ربحه فلا شيء فيه** » قال : أخذت ضعف ما قدمت لأختي صباحاً ، ولا أعتقد أن أحداً ممن يقرأ هذا الكلام إلا ويلمس أن الله يوماً عامله بما يشبه معاملة ذلك الشخص ، قال عليه السلام : « **أنفق بلالُ! ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً** » .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **قَالَ اللهُ : أَنْفِقْ يَا بْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ** » .

أجل ، علّمَكَ الله عز وجل بأفعاله ، هو يُعلِّمُكُ باستمرار ، لذلك قال :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

يُعلِّمُكَ بأفعالِه ، لكنَّ الإنسان حينما يفهم عن ربه ما يأمر وما ينهى ، وحينما تنعقد صِلةٌ مباشرة ، إدراكٌ مباشر ، تجد أن هذه بتلك وهذا الصنيع لذاك الفعل .

شخص له استقامته ، وله انضباطه ، وله ورعه ، سافر في أول رحلة بالطائرة ، زلت قدمه فأطلق بصره ، وصل إلى البلد الآخر فركب سيارة أجرة ، وأعطى السائق أجرته ، فأخذه السائق إلى المخفر ، العملة مزوّرة ، فقال : أنا عضو وفدٍ ومدعوٌّ إلى مؤتمر في أعلى درجة ، وإذا به في قفص اتهام . قال : والله دمعت عيني وكأن ربي عاتبني ، قال : وقع في قلبي « **لماذا أطلقت بصرك يا عبدي** » ، بالأفعال عاملك ، هداك بالخلق ، وهداك بالقرآن ، والآن هداك

بالأفعال ، هو الهادي ، إذاً الهادي اسم من أسماء أفعاله ، الهادي بالخلق اسم من أسماء أفعاله ، والهادي بالقرآن اسم من أسماء ذاته .

لقد أبدعك الله إبداعاً عظيماً ، مثال ذلك في بعض المحالِّ التجارية تجد على البضاعة قسيمة بالسعر ، ويوجد مادة على لصاقة السعر ، إذا أخرجت هذه البضاعة دون أن تؤدي ثمنها وأنت خارج تحت قوس معين يصدر صوت عالٍ ، أما إذا أديت ثمنها يعطل الموظف مفعول هذه المادة بمادة أخرى ، فلو رأى واحد شيئاً ، قليل الحجم غالي الثمن وضعه في جيبه ولم ينتبه ، وخرج من هذا المحل ، هذا القوس الذي يَخرج من تحته يُصدر صوتاً مزعجاً ، كأنه يقول : هذا سارق خذوه ؛ هذه البضاعة مُصممة تصميماً حيث إنك إذا أخذتها دون أداء ثمنها تصيحُ بك هذا من صنعة الإنسان . فالله سبحانه وتعالى صَمَّمَ لكَ نفساً إذا أسأت تشعُر بالضيق ، تُسميه وخز ضمير ، تُسميه كآبة ، تسميه ضيقاً ، ضاقت علي الأرض بما رَحُبَتْ صحيح متضايق طبعاً ، لأنَّ فِطرتك عالية ، فأنتَ حينما أسأت خرجت عن قانون فِطرتِكَ ، هكذا علّمَكَ بالفِطرة ، علّمَكَ بخلقه ، وعلّمَكَ بكلامه ، وعلّمَكَ بأفعاله ، والآن علّمَكَ بالفطرة والدليل :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس : ٧ـ ٨] .

يعني ؛ إذا فَجَرَتْ ، تعرف أنها فَجَرَتْ ، وإذا اتقت ، ارتاحت .

وبعد فإن القارىء الكريم وأنا لا أُبالغ يُحس براحة نفسية لا تُقدر بثمن ، لأنه مطيعٌ لله فكيف يعرف ذلك ؟ لو أنه زلّت قدمه لا سمح الله ، لو أنه أطلَقَ بَصَرَهُ ، لو أنه فاته فرض صلاة ، لو أنه كذب في كلمة ، لو أنه اغتاب ، لَشَعَرَ كأنه سقط من السماء إلى

الأرض ، يشعُر بالضيق ، يُحس بالحِجاب يُحس أنَّ الله أبعده ، أنَّ الله قلاهُ ، أنَّ الله لم يقبلْهُ ، هذا التعليم الرابع! هداية الفطرة ، الآية الكريمة :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ٣٠] .

إقامة وجهك للدين حنيفاً ؛ هو نفسه فِطرة الله التي فَطَرَ الناس عليها ، فلا ترتاح إلا إذا عَرَفتَ الله ، لأنَكَ إذا عرفته أويت إلى رُكنٍ وثيق ، إذا وجد موظف في دائرة من الدرجة الخامسة ، على أساس الشهادة الثانوية ، لكن المديرَ العام صهرُه زوج أخته ، ترى أن هذا الموظف له وضع خاص ، مُطمئن ، يُحس بأمن عجيب بهذه الدائرة ، لا يخشى لا من رئيسه المباشر ولا ممن هو أعلى من رئيسه ولا من المدير المعاون ، كلهم مرتبطون بالأعلى ، والأعلى يضفي عليه ظله ، فهذا إنسان مع إنسان يُحس بالأمن ؛ فكيف إذا كُنتَ مع الله ، إذا كُنت مع الله فمن عليك ؟ وإذا كان الله عليك فمن معك ؟ علَّمَكَ بالفِطرَة ، الإنسان متى يرتاح ؟ إذا أوى إلى الله ، إذا شَعَرَ أن الله يحبه ، إذا شعر أنه بعين الله إذا شعر أنه بِحِفظ الله ، إذا شَعَرَ أنه يُحب الخلق إكراماً لله ، إذا نام مساءً ولم يؤذِ مخلوقاً ولم يكن لأحد حق في عنقه ، لم يبنِ مجده على أنقاض الناس ، لم يبنِ ثروته على فقر أحد ، لم يبنِ أمنه على خوف الناس ، لم يبنِ حياته على موت غيره ، كان مِعطاءً ، كان خيّراً . إذاً أنت لك فِطرة قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ ، إذا فجرت تعرف .

كنتُ في حفل عقد قِران تبعني شاب كريم ، سألني سؤالاً حول موضوع حاك في صدره ، فهو حينما فعل هذا الشيء المنكر جاء بِمسوغات غير صحيحة ، لكنه حينما عاد إلى بلده ، قال : والله ما أعجبتني هذه المسوغات ، كأنني رسبت في امتحان الله عز وجل ، لم يُعلِّمُه أحد ، ولا سأل أحداً ، ولكنه أدْرَكَ من تلقاء نفسِهِ ، أعني أدرك بفطرته .

إذاً : الله عز وجل هداك بخلقه ، وهداك بكلامه ، وهداك بأفعاله وهداك بالفِطرة . الله عز وجل له أساليب كثيرة في الهُدى ، بل أحياناً يَهديك بالإلهام قال تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [القصص : ٧] .

هذا وحي إلهام ، يقول لك : اللهُ ألهمني أن أسافر ، الله ألهمني ألا أشتري هذه الصفقة ، الله ألهمني ألا أشارك فلاناً ، الله ألهمني ألاّ أشتري هذا البيت ، ما عندي دليل ، بل هو إلهام ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ .

مرةً في أحد أيام الأعياد ، عندي فراغ ونويت أن أذهب لأزور صديقي غربي دمشق ، لكني فجأة وجدت نفسي أنساق إلى بيتي بصورة لا شعورية ، وبلا سبب ، ولا مُسوغ ، فما إن وصلت إلى البيت حتى فوجئت برجلٍ يأتيني من مكان بعيد من بلد في الشمال جاء لزيارتي في فترة العيد ، وليس له في الشام بيت آخر يبيت فيه ، كيف ؟ هذا إلهام ، عندما يستسلم الإنسان لله عز وجل يُلهمه الله ، وإلهامات المؤمن كلها لصالحه ، لكن إلهامات الكافر ، أقول إلهامات

الكافر مجازاً ومثله الفاسق ، المُنحرف وهي وساوس شيطانية ، كلها لغير صالِحِهِ ، يوسوس له أن يَعقد هذه الصفقة يُفلس من خلالها ، يوسوس له أن يُشارك فلاناً يَنهَبُهُ ، يوسوس له أن يفتتح مصلحة أو ينشيء مشروعاً فيكون سبب دماره وخسرانه ، هذا وسواس شيطاني ، أنت بين إلهام الرحمن أو وسوسة الشيطان ، فإذا كنت مع الرحمن ألهمك ، وإذا كانَ المرء مع الشيطان وسوَس إليه ، هذه طريقة أخرى في الهدى ، الله يُلهمك ، لذلك قال تعالى :

﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه : ٤٠] .

أحياناً يُلهمك أن تزور مثلاً هذا المسجد ، أنا أتكلّم عن سابق تجربة ، إذ ليس من أخٍ اهتدى إلى الله عزّ وجل عن طريق هذه الدروس إلا وكنت أسأله سؤالاً صغيراً ، أقول له : كيف اهتديت إلى هذا الجامع ؟ فأسمع قصصاً عجيبةً ، مثلاً دخل شخص ليصلي المغرب مصادفة فرأى جمعاً فجلس ، فكان هذا أول درس يحضره وما ترك بعده درساً ، هناك إنسان اهتدى عن طريق صديق ، عن طريق قريب ، عن طريق صاحب عن طريق موعد أحياناً ، هذا إلهام .

إذاً بخلقه ، بكلامه ، بأفعاله ، بالفطرة ، بالإلهام ، كل هذا من فعل (الهادي) .

الآن بالرؤيا الصالحة ، هناك أشخاص إذا رأوا رؤيا صالحة واضحة ، صارخة ، بارزة ، هذه الرؤيا تحمِلُهم على طاعة الله عز وجل ، وهذا شيء مؤيِّد ، لأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام يقول « **الرؤيا الصالحة جزءٌ من ستٍ وأربعين جزءاً من النبوة** » ، أي إنّ الله عز وجل إذا أراد أن يُعلِّمَكَ شيئاً ما بطريق مباشر ، بلا إستنباط

ولا تأمّل ولا إدراك ، ولا من طريق الأفعال ولا من طريق الخلق ولا من طريق القرآن

لا تفكر في الكون ولا نظر في الأفعال ولا تدبر في القرآن ، لكن يُريد الله عز وجل أحياناً أن يُعلمَكَ إعلاماً ، مباشراً ، سريعاً ، حازماً ، واضحاً ، فقد ترى نفسك تسير في طريق الهاوية ، كأن الله يُحذِّرُكَ ، أحياناً تتساءل عن سؤال كبير ، الله عزَّ وجل يُجيبك عن هذا السؤال في الرؤيا .

كثير من الإخوة الكرام تكلّموا معي : قبل أن ينام أحدهم نشأ عنده سؤال فقال : يا رب أنت ألهمني الصواب ، فرأى رؤيا صالحة كأنها إجابة عن هذا السؤال ، إذاً هذا هُدى عن طريق الرؤيا ، لكن هُنا نقطة دقيقة جداً ، أيّةُ رؤيا خالفت أوامر الشرع ؛ اسمعوا ما أقول ؛ اركِلهَا بقدمك لأنَّ الشرع هو الثابت وكل ما جاء في الرؤيا خِلاف القرآن الكريم من الشيطان ، لو أن أحداً رأى رجلاً صالحاً ، ويعتمُّ بعمّةٍ خضراء ووجهه يَشِعُّ نوراً وقال له : لا تصلِّ ، نقول له : هذه الرؤيا اركِلهَا بقدمك ، لا تُصدق ، كل ذلك كلام فارغ ، نحن عندنا مقياس الشرع ، أيّة رؤيا تُخالف أوامر الله تُخالف شرعَ الله عزَّ وجل ، لا تعبأ بها ، ولا تُقِم لها قيمة ، ولا تأخذ بها ، ولا تحفل بها فإنها ، قطعاً ، من الشيطان .

لكنَّ الرؤيا التي من الرحمن لها خصائص ، إذا كنت لا سَمَحَ الله مُنحرفاً ، ورأيت رؤيا مُخيفة ، فهذه من الرحمن قطعاً ، وإذا كنت مُحسناً ، ورأيت رؤيا مُبشِّرة ، هذه من الرحمن قطعاً .

فإذا كُنتَ مُحسناً ، ورأيت رؤيا مُخيفة ؛ هذه من الشيطان لكي

تخاف ، وإذا كُنتَ لا سَمَحَ الله مُسيئاً ، ورأيت رؤيا مُبشِّرة ؛ هذه أيضاً من الشيطان ، الأصل الشرع واستقامتك ، فهذه ثوابت .

بالمناسبة ؛ الرؤيا لا يُمكن أن تكون قاعدة ، ولا يُمكن أن تكون دليلاً . إنها اتصال مباشر بين العبد وربه فقط ، يعني : هي شيء لا يجبر على فعلٍ ولا يُنقل أثره إلى غيره إنما هي شيء شخصي مَحض ، هذه الرؤيا .

أحياناً يَهديك عن طريق خلقه ، لا عن طريق مُخلوقاته عن طريق الأشخاص ، فمثلاً ، يجمعك مع شخص يحكي لك موضوعاً ، فحينما ألتقي مثلاً بإنسانٍ ويتكلّم هذا الإنسان ، أشعر بطريقة أو بأخرى وأتساءل : من الذي جمعني بهذا الإنسان ؟ هو الله ، من الذي ألهمه ؟ هو الله ، من الذي أنطَقَهُ ؟ هو الله ، حينما تكون في طريق غير صحيح ، ويأتي إنسان يُبيّن لكَ الصواب ، فإني أعتقد اعتقاداً صحيحاً أنَّ هذا الإنسان قد ساقَهُ الله إليك لِيُبلِّغَكَ ولِيُعرِّفَكَ ، هذا أيضاً هُدى عن طريق الخلق .

وهناك هُدى من نوعٍ آخر ، هذا الهُدى الانقباض والانبساط يقول لك : انقبضت ، أزمعتَ أن تسافر إلى جهة ما فشعرت بانقباض ، أو شعرت بانشراح ، أو الأمور تيسَّرت أو تعسّرت ، فالانقباض والتعسير والانشراح والتيسير هذا تعليم أيضاً ، فإذا كان الله راضياً يكون هناك انشراح وتيسير ، الله غير راضٍ وأنت مؤمن ، عِندَكَ حساسية ، وعِندَكَ إدراكٌ دقيق أنت مؤمن ، فأصبحَ هُناكَ انقباض وتعسير ، إذاً هذا شيء لا يُرضي الله عزَّ وجل .

وكخلاصة أوجز بها الموضوع أقول : أحياناً يسلُب الله سبحانه

وتعالى لُبَّ عبده أي عقله ويُسيّرهُ تسييراً سليماً في جهة ما ، هذا أيضاً هُدى . فإذا قُلنا الهادي يعني هدانا بخلق الكون ، وهدانا بالقرآن وهدانا بأفعاله وهدانا بالفِطرة ، وهدانا بالإلهام ، وهدانا بالرؤيا ، وهدانا عن طريق الأشخاص ، وهدانا عن طريق الانشراح والانقباض والتيسير والتعسير ، ثمَّ هدانا عن طريق التسيير المباشر . هذه كلها تعني أنَّ الله هو الهادي قال تعالى :

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى : ١ـ٥] .

العلماء لهم تفسيرات دقيقة للهُدى الإلهي ، الهُدى أربعة أنواع :

ـ أول هُدى الهُدى العام : الله عزَّ وجل زوّدَكَ بحاسّة الشم ، تقول : رائحة غاز ، كيف هداك إلى وجود غاز وفيه خطر على البيت ؟ عن طريق الشم ، أحياناً تسمع صوتاً في الغرفة الثانية ، كيف هداك أن هناك حركة في البيت ؟ عن طريق السمع ، أعطاك ملكة الاستدلال والتفكير ، أعطاك عِلماً ، أعطاك خِبرة أعطاك حواسَ خمساً ، هذه كُلُّها القدرات التي أودعها الله في المخلوقات هداهم إلى مصالحهم .

ائت بنملة ضع أصبعك أمامها تقف وتُغيّر طريقها ، يعني أن الله أعطاها بصراً ، أعطاها إدراكاً بأنّ هنا خطراً وهو حاجز ، الله عزَّ وجل هدى كل الحيوانات ؛ عن طريق الغريزة إلى مصالحها .

أحد الأشخاص كان في بستان ، فرأى قنفذاً يأكل أفعى ، أكل قطعة منها ثم تركها وذهب إلى نبات وأكل منه ورقة ، ثم عاد ، وأكل قطعة ثانية ثم ذهب إلى هذا النبات وأكل ورقة ثانية ، فهذا البستاني

أمسك النبات وقلعه ، وأكل القنفذ قطعة ثالثة ثم ذهب إلى النبات فلم يجده ، فمات القنفذ ، من هداه إلى أن هذا النبات يتناسب مع هذا الطعام ؟ الله عزَّ وجل .

مثلاً : لو أحضرنا أمهر رُبان في العالم ، أعلى رُبان على وجه الأرض في علمه ومهارته يحمل شهادات عُليا وعنده ألفا ساعة قيادة سُفن ، وعنده دراسات وعنده اختصاص ، وعنده خِبرات ، لو وضعناه على سفينة بلا بوصلة على ساحل فرنسا ، وقلنا له : اتجه بها إلى مصب نهر الأمازون ، لا أُبالغ إذا قلت ربما جاء البرازيلَ في جزئها الجنوبي ، فلا مجال بدون البوصلة ولا إمكانية ، ولو انحرف درجة في بدء مساره لانحرف في النهاية مسافة خمسمئة كيلو متر ، أما سمك السلمون فإنه يتجه من سواحل الأطلسي إلى مصبات الأنهار في أمريكا ، وكل سمكة وُلِدَتْ بمنبع نهر تتجه إلى مصب النهر ، وهذه السمكة المتجهة ليست هي التي قدمت عند بدء الرحلة بل أمها هي التي جاءت إلى هنا ، ثم وضعت بيضها وربما ماتت في مكانها الجديد ، أما السمك الجديد فبعد أن يخرج من البيوض يتجه نحو الشرق إلى سواحل فرنسا إلى حيث بدأت رحلة الأمهات ، فإذا كبرت عادت إلى مصبات الأنهار ، قال تعالى :

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾

[طه : ٤٩ـ٥٠]

هذه هِداية ، فأول هِداية : هِداية عامة ، هُديَ الإنسان إلى طعامه ولباسه إذ صَنَعَ نسيجاً ولَبس ، صَنَعَ بيتاً ، طها الطعام ، طهي الطعام شيء معقد جداً ، تأكل الأكلة فإذا كان فيها خلل تتضايق منها ، من

هداك لوضع ملح وطحينة وكمون وفلفل وعصفر ؟ مَن ؟ إذاً لدينا هُدى ، هُدى إلى كسب الرزق ، هُدى إلى تأمين المعاش ، هُدى إلى تأمين الحاجات ، فهذا الهُدى الأول هِداية عامة .

ـ الهُدى الثاني هِداية الوحي ، يهديك إليه ، يهديك إلى كتابهِ يهديك إلى الحق .

ـ الهُدى الثالث : هِداية التوفيق ، قال تعالى : ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف : ١٣] .

ـ الهُدى الرابع : هِداية الجنة ، قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [محمد : ٤ـ٦] .

إذاً هناك هداية عامة ، وهِداية الوحي وهِداية التوفيق والهُدى إلى الجنة ، هذا بعض ما يمكن أن يقال في موضوع اسم الهادي .

في ختام هذا البحث لابد من بيان قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ هذه الواو تفيد أن الجملة ليست شرطية ، ليس اتقوا الله يعلمْكم بل : . . واتقوا الله ، لماذا لا تتقونه ؟ لأنه يُعلمكم ، يُعلمكُم دائماً بالخلق ، وبكلامه وبأفعاله وبالفِطرة وبالإلهام ، وبالرؤيا وبالخلق ، وبالقلب وبالانقباض والتيسير وبالتعسير وما إلى ذلك . ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

ولعله صار واضحاً أنه بتقوى الله تتحقق كل مفاهيم الهداية ومقوماتها للإنسان فيهتدي إلى ربه ويسعد إلى الأبد .

* * *